

الفطرة فن الله تعالى وإبداعه الخالد



- أصل الفطرة في الثقافة القرآنية:

رغم التباين الموجود بين مفاهيم "الفن في القرآن" و"الفن في ظل القرآن" و"الفن القرآني" أو "القرآن والفن" إلا أنّها تلتقي في نقطة واحدة هي أنّ لجميعها ارتباطاً وثيقاً بأصل الفطرة التي هي أساس "الإيمان الديني".

إنّ "مبدأ الفطرة" الذي أشير إليه مراراً في القرآن الكريم وروايات المعصومين (ع) يمثل أحد المواضيع الرئيسية والمعمقة لعلم الاجتماع حسب وجهة نظر الإسلام؛ إذ يبقى تعلم الدين و المعارف السامية والمتجذرة بدءاً من التوحيد والمعاد وانتهاءً بالأحكام والشرع، وكذلك الوقوف على معارف كتاب الوحي وعجائبه وجماليتها ناقصاً دون الغوص في مكنونات الفطرة.

الفن الديني، أو بعبارة أفضل: البعد الفني وعلم حمال الروح الإنسانية له ارتباط وثيق مع "الفطرة" ويتم تعريفه في ظل الفطرة.

وفي علم الاجتماع الإسلامي لا يعتبر الإنسان، هذا الموجود المعتقد، صفة بيضاء لا كتابة فيها بحيث لا ترى فيها أبداً أي أثر من تجسيم وتصوير ليد الخلقة الإلهية وأنّ ماهيته بشكل عام تتبلور بعد إيجاده. إنّ الإنسان في الإسلام هو وجود حقيقي يمتلك مؤهلات وقدرات خاصة تمارس العوامل الطبيعية والاجتماعية

والتربيـة الـخارـجـية ولـعـامـل الإـرـادـة دورـ أـسـاسـي فيـ تـجـسـيدـ ذاتـهـ، وـأـنـ" العـوـاـمـلـ الـدـخـيلـةـ فيـ هـذـاـ الـوـجـودـ تـنـاـورـ فيـ مـسـاحـةـ بـيـنـ أـعـلـىـ عـلـيـينـ وـأـسـفـلـ سـاـفـلـيـنـ (وـَنـَفـُوسـِ وـَمـَآـسـَ وـَاهـَآـ * أـلـهـَمـَهـَآـ فـُجـُورـهـَآـ وـَتـَقـُوـاهـَآـ) (الـشـمـسـ/ 8ـ7ـ).

علىـ أـنـ" نـمـوـ وـتـكـامـلـ وـازـدـهـارـ الـمـؤـهـلـاتـ وـالـمـوـاهـبـ الـإـنـسـانـيـ رـهـنـ بـالـسـيرـ فيـ رـكـابـ الـدـينـ الـإـلـهـيـ؛ الـحدـ الفـاـصـلـ بـيـنـ الـإـنـسـانـيـ وـالـحـيـوـانـيـ وـعـامـلـ تـسـامـيـ إـنـسـانـيـ وـتـسـلـقـهـ مـرـاتـبـ الـكـمـالـ وـالـتـسـامـيـ الـوـجـودـيـ. (فـَأـقـمـ وـَجـهـكـ لـلـدـرـ يـنـ حـنـيفـاـ فـِطـرـةـ الـلـاـهـ الـسـتـيـ فـَطـرـ النـاسـ عـلـيـهـاـ لـاـ تـبـدـيـلـ لـخـاتـقـ الـلـاـهـ ذـلـكـ الدـرـ يـنـ الـقـيـمـ) (الـرـومـ/ 30ـ).

تـعدـ مـعـرـفـةـ الـفـطـرـةـ وـالـجـوـانـبـ الـمـتـعـلـقـةـ بـهـاـ أـمـرـاـ مـفـصـلـيـاـ وـضـرـورـيـاـ جـدـاـ فيـ طـيـ هـذـاـ الـمـسـيرـ وـمـواـكـبـتـهـ.

وـعـلـىـ نـحـوـ الـإـجـمـالـ وـالـعـمـومـ، فـإـنـ" الـجـوـانـبـ الـمـتـعـلـقـةـ بـالـفـطـرـةـ يـمـكـنـ تـقـسـيمـهاـ إـلـىـ مـجـمـوعـتـيـنـ:

- 1ـ الـإـدـرـاكـاتـ الـفـطـرـيـةـ.
- 2ـ الـمـيـوـلـ الـفـطـرـيـةـ.

فـالـإـدـرـاكـاتـ الـفـطـرـيـةـ الـتـيـ هيـ أـسـاسـ الـعـلـمـ وـالـفـلـسـفـةـ وـكـلـ أـنـوـاعـ الـمـعـرـفـةـ لـلـعـلـومـ هيـ عـبـارـةـ عـنـ الـبـدـيـهـيـاتـ الـأـوـلـىـ كـمـبـدـأـ دـمـدـرـ اـلـتـنـاقـضـ وـمـاـ شـاـبـهـ.

أـمـاـ الـمـيـوـلـ الـفـطـرـيـةـ الـتـيـ لـهـاـ صـلـةـ أـكـبـرـ بـبـحـثـنـاـ، فـهـيـ تـشـمـلـ الـأـمـورـ التـالـيـةـ:

- 1ـ الـمـيـلـ نـحـوـ الـمـعـنـوـيـةـ وـعـبـادـةـ ۚ.
- 2ـ الـمـيـلـ نـحـوـ الـعـلـمـ وـطـلـبـ الـحـقـيقـةـ.
- 3ـ الـمـيـلـ نـحـوـ الـإـحـسـانـ وـالـفـصـائـلـ الـخـلـقـيـةـ.

4ـ الـمـيـلـ نـحـوـ الـكـمـالـ وـالـجـمـالـ وـالـطـرـافـةـ الـتـيـ هيـ أـسـاسـ "ـالـفـنـ"ـ فـيـ الـحـيـاةـ وـالـتـأـرـيـخـ الـبـشـرـيـ.

مـنـ خـلـالـ الـمـيـوـلـ أـعـلـاهـ، تـتـأـلـفـ الـحـيـاةـ الـمـعـنـوـيـةـ لـلـإـنـسـانـ... فـالـعـلـمـ وـالـأـدـبـ وـالـدـيـنـ وـالـفـضـيـلـةـ وـالـأـخـلـقـ وـالـفـنـ قدـ سـجـلتـ حـضـورـهـاـ وـعـلـىـ أـسـاسـهـاـ بـنـيـ صـرـحـ الـحـضـارـةـ الـإـنـسـانـيـةـ.

- رسالة الأنبياء:

مـنـ الـجـدـيـرـ الإـشـارـةـ إـلـىـ أـنـ" أـنـبـيـاءـ ۚ تـعـالـىـ، وـهـمـ روـادـ الـحـيـاةـ الـمـعـنـوـيـةـ لـلـنـاسـ، لـمـ يـبـعـثـوـاـ مـنـ أـجلـ إـيجـادـ هـذـهـ الـخـصـالـ فـيـ نـفـسـ الـإـنـسـانـ، بلـ أـنـ" رسـالـتـهـمـ تمـثـلـتـ فـيـ تـرـبـيـةـ وـتـعـزـيزـ وـتـحـقـيقـ مـظـاهـرـ الـبـعـدـ السـاـمـيـ لـلـوـجـودـ الـإـنـسـانـيـ وـالـحـؤـولـ دونـ انـزـالـهـ فـيـ هـاـوـيـةـ الـمـادـيـاتـ وـالـشـهـوـاتـ.

لـقـدـ جـسـدـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، مـعـجزـةـ الرـسـولـ الـخـاتـمـ مـحـمـدـ الـمـصـطـفـيـ (صـ)ـ بـأـكـمـلـ صـورـةـ مـمـكـنـةـ، عـنـاصـرـ الـفـطـرـةـ الـأـرـبـعـةـ وـكـانـ نـقـطـةـ التـقـاءـ "ـالـمـعـرـفـةـ وـالـعـبـودـيـةـ"ـ وـ"ـالـعـلـمـ وـالـحـكـمـةـ"ـ وـ"ـالـأـخـلـقـ وـالـفـضـيـلـةـ"ـ وـ"ـالـجـمـالـ"ـ وـ"ـالـطـرـافـةـ"ـ.

إـنـ" تـعـالـيمـ هـذـاـ الـكـتـابـ تـنـسـجـ تـمـاـمـاـ معـ فـطـرـةـ الـإـنـسـانـ وـتـلـبـيـيـ كـافـةـ اـحـتـيـاجـاتـهـ الـفـطـرـيـةـ، وـمـنـهـاـ تعـمـلـشـ

الروح الإنسانية للفن والأبعاد الجميلة.

وفضلاً عن أنَّ القرآن الكريم تبلورت في ظله كثير من الفنون وكان الأصل في ظهور أو تكامل التلاوة والتجويد، والخط، والتجليد، والتذهيب، والتصوير، وخط الرسومات، والمعرُّفات، وأنَّه ترك بصماته وتأثيره على فروع فنية أخرى كفن العمارة، وعمل الكتائب المزخرفة بالкаشي، والرسم ... فإنَّه بحد ذاته مخلوق فني إعجازي مدحش تجلَّى في صيغة (الكلام) و(البيان) وعرض المعاني السامية والمتکاملة من عالم الغيب إلى عالم الشهود، ومن الله الرحمن إلى الناس.

إنَّ بيان القرآن الكريم بيان فني وجميل ذو بناء هندسي خاص... من مختلف أنواع الصيغ الأدبية من الحقيقة والمجاز، والتشبيه والاستعارة، والكناية، والإيهام... وكذلك الأمثال والحكم، والقصص الجميلة، والموعظة والحكمة، والتاريخ، والفلسفة، والبحث والمناظرة والاستدلالات العقلية والفطرية جعلت الإنسان يندفع إلى التدبُّر والتفكُّر، وحرَّك فيه قدرة التخييل، وصوَّر له الحقائق العلمية والعرفانية بشكل فني حتى وકأن الحقائق المعنوية السامية باتت مجسدة أمام عين القارئ والسامع فأخذت منه مأخذها وصار متحيراً في مقابل تلك المناظر.

إنَّ تركيب الآيات والكلمات، وكيفية الحروف والحركات تخضع لقاعدة التفخيم والترقيق، وتناسب الجمل والسياق النغمي إلى جانب تنوع وكثرة الموظفة المثيرة للعجب وكذلك التحليق المدحش في الآفاق والغور في مكونات الأنفاق الإنسانية يعدُّ من أوجه جمالية هندسة الآيات وال سور.

إنَّ استخدام الأوزان الشعرية في جمل متثورة، وموسيقية الآيات والبيان النغمي في صياغة الجمل القرآنية، التي تهتزُّ لصوتها أو تار قلب كلَّ إنسان صاحب ذوق وناشد للحقيقة وتنفتح قريحته بإطلاق كلمات الإشادة والإطراء، تفصح على استخدام مختلف أنواع الفنون بأجمل صورها في خلقة هذا الكتاب السماوي.

إنَّ هذه الموسيقى والنغمة المرتبطة والمتناسبة تماماً مع مضمون وفحوى الآيات الشريفة، لها تأثير سحري على روح ونفس الإنسان.

حتى أنَّها تروِّض أحياناً القلوب القاسية وتجذبها لكتاب العزيز، وهذا يعد بحد ذاته أحد أسس تحدي القرآن الكريم.

- الوليد بن المغيرة والجاذبية السحرية للقرآن الكريم:

يتم الكشف عن هذه الحقيقة في سورة المدثر ببيان إلهي جميل وشاعري من على لسان الوليد بن المغيرة.. هذا المدعو ابن المغيرة وهو أحد أعداء الإسلام والرسول الأكرم (ص)، حينما سمع شيئاً من القرآن الكريم في أيام الوحي الأولى تأثر جداً بجاذبية القرآن الكريم إلى الحد الذي اضطر رغم أنفه الاعتراف بعظمته.

لكن الكبر والعناد جعله يسمى تلك الآيات الجذابة بالسحر. ولذا فإنَّه تعالى فضحه قائلاً:

(إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدْ رَأَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قُتِلَ رَأَ * ثُمَّ * زَطَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سَحْرٌ يُؤْثِرُ * إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ) (المدثر/ 18-25).

إنَّ عظَمَ الآياتُ أعلاه يتجلى ببيانها السهل والشاعري والموزون والموسيقي، وفي قصر جملها وحرمتها وتماسكها حتى أنَّ الفاضح والقائم يحيط اللثام عن الحالات النفسية للعدو المعاند والحاقد. وبعد أن يمهِّد للسامع الأمور من الناحية النفسية، ينقل له كلام المنكر للفرقان الكريم ومن ثمَّ يجب بقاطعية وحزم:

(سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوْا حَةً لَتُبَشَّرِ * عَلَيْهَا تَسْعَةَ عَشَرَ) (المدثر/ 26-30).

لا شك أنَّ من الأهمية بمكان الوقوف على حالات التصوير القرآنية الجميلة تجسيد ظواهر الخلقة الرائعة من أرض وسماء، وكواكب وسيارات، وصحاب وبحار، وجبال، وطيور، وحيوانات أخرى وباقٍ مظاهر الخلقة وكذلك المشاهد المهيّبة ليوم القيمة من حوادث النفح بالصور وما يحصل للأرض والسماء وحتى الجنة والنار وحمليات الأولى وبلايا الثانية، والحوار بين أهل الجنة والنار ... وكذلك القصص القرآنية وأسلوبها الفني في رسم الشخصيات الإيجابية والسلبية وأبطال القصص وإعداد القارئ نفسيًا، وتحريض وإثارة العواطف والأحساس واصطحاب القارئ إلى استنتاجاتها الإنسانية والإلهية؛ لا شك أنَّ مطالعة كل ذلك يحظى بأهمية بالغة.

التناسق الرائع بين الإطار والمضمون وفحوى المواضيع القرآنية لا يقتصر على القصص وظواهر الدنيا والآخرة، بل إنَّ القرآن الكريم اختار إطاراً خاماً فيما يتعلق بالعقائد والمعارف والأحكام والشريعات وبما يتنااسب مع مضمون الآيات وفحوى المواضيع، مستخدماً منهج وأساليب مختلفة بغية المزيد من التأثير.

- نماذج من البيان الفني في القرآن الكريم:

إنَّ حالات استخدام فن البلاغة والصياغات الأدبية المختلفة وتناسب أشكال الكلمات ومراامي مفاهيم القرآن المجيد أكثر من أن تعدَّ وتحصى، ولا يسع هذا المقال البحث في التفاصيل إلا أنْ نناهى مضطرون إلى أن نشير بصورة عابرة ومقتضبة إلى نماذج مختلفة في هذا المجال بغية المزيد من الفائدة للباحثين والراغبين بالمطالعة.

1- بيان فني في رسم الطواهر الطبيعية وحمليات الخلقة:

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِرَغَيْرِ عَمَادٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّهُ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمٍّ يُدَبِّرُ الْأُمُرَ

يُفَصِّلُ الْأَيَّاتِ لَعَلَّكُمْ بِالْقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقَنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَرْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الظَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنَ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَيَّاتٍ لِتَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَاعٌ مُتَجَاوِرٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَرَزَرْعَ وَرَخْيلٌ صَنْدُونَ وَغَيْرُهُ صَنْدُونَ يُسْقَى بِمَاءِ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَيَّاتٍ لِتَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (الرعد/4-2).

(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدَ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصَبِّبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ) (الرعد/12-13).

2- البيان القرآني الفني في رسم وتصوير أحداث يوم القيمة:

(بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النَّجْوُومُ ازْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطَلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِّرَتْ * وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النَّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَرْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحْفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَاهِيمُ سُعِيرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلَفَتْ * عَلِمَتْ زَفْسُ مَا أَحْمَرَتْ) (التكوير/14-1).

وكذلك كافة آيات سورة الحاقة المباركة ومنها:

(وَأَمْمًا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشَمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَهُ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهُ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْدَى عَذَّبِي مَالِيَهُ * هَلَكَ عَذَّبِي سُلْطَانِيَهُ * خُذُوهُ فَغُلْوُهُ * ثُمَّ الْجَاهِيمَ صَلْوُهُ * نُمَّ فِي سَلْسَلَةِ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْتُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) (الحاقة/25-33).

3- حوار أهل الجنة والنار:

(كُلُّ زَفْسُ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً * إِلا أَصْحَابُ الْبَيْمَينِ * فِي جَنَّاتِ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَاتُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلَّيِينَ * وَلَمْ نَكُ زُطْعَمُ الْمَسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا زُكَدَبُ بِرَيْوَمِ الدَّيْنِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ) (المدثر/38-47).

4- وصف الجنة ونعمها:

(إِنَّ لِتْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَّ ائِقَّ وَأَعْذَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا
دَهَاقًا * لَا يَسْمَاعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا * جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ
حَسَابًا) (النبا / 31-36).

5- وصف جهنم وعدا بها:

(إِنَّ جَهَنَّمَ كَمازَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا
يَدُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءٌ وَفَاقًا *
إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حَسَابًا * وَكَذَبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا * وَكُلُّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَادُوقُوا فَلَانٌ نَزِيدَ كُمْ إِلا عَذَابًا) (النبا / 21-30).

6- البيان القرآني الفني في ذكر القسم:

(فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَسِ * الْجَوَارِ الْكُنُسِ * وَالْتَّابِلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصَّبْحِ
إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولِ كَرِيمٍ) (التكوير / 15-19).

7- البيان القرآني الفني في ذكر الواقع التاريخية والقصص القرآنية:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي
الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْنَزْنِي إِنَّمَا رَادُوهُ إِلَيْكَ وَجَاءَ لُوهُ مِنْ
الْمُرْسَلِينَ) (القصص / 7).

وفي سورة نوح يسرد القرآن الكريم الحوار بين النبي نوح (ع) ورب العزة على النحو التالي:

(قَالَ رَبِّي إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا
فِرَارًا * وَإِنِّي كُلْمَاءِ دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي
آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتَكْبَارًا * ثُمَّ
إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ أَعْلَدْتُهُمْ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا
فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ
مِدْرَارًا * وَيُمْدِدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَذِينَ وَبَجْعَلَ لَكُمْ جَنَاحَاتٍ وَبَجْعَلَ
لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِتَهُ وَقَارًا * وَفَدْ خَلَفَكُمْ أَطْوَارًا)
(نوح / 5-14).

وكذلك:

(قَالَ نُوحُ رَبِّي إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَلَدُهُ

إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرُورًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ أَلْهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ
وَدَّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعْوَقَ وَزَسْرًا * وَقَدْ أَصْلَى وَكَثَيرًا وَلَا تَزَدِ
الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا مَمْمَأ خَطَيْئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا زَارًا فَلَمْ يَجِدُوا
لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَزْمَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّي لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ
الْكَافِرِينَ دَيْمَارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضْلِلُوكُمْ عَبَادَكَ وَلَا يَلْدُوا إِلَّا
فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّي اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيِّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا
وَلِمَمْؤُمِنًا وَالْمُمْؤُمِنِينَ إِلَّا تَبَارًا) (نوح/ 21-28).

8- سائر الأمثال والحكم:

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم دخلت الأدب العربي وفرضت لنفسها مكاناً في الحوار بين الناس بصفتها بسبب قصرها وجماليتها ومعناها الوافي وتعلقها بقضاياهم الاجتماعية وخلفياتهم وحياتهم اليومية وبصفتها حكماً وأمثالاً، منها:

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حِبَّةٌ يَا أُولَئِي الْأَلْبَابِ) (البقرة/ 179).
(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزلة/ 7-8).
(وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الدِّمَاكِرِينَ) (آل عمران/ 54).
(إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الانشراح/ 6).
(إِنَّ أَحْسَنَتُمْ أَحْسَنَتُمْ لَا نَفْسٌ كُمْ) (الإسراء/ 7).
(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا إِحْسَانٌ) (الرحمن/ 60).

9- (أَعْلَمُوا أَزْمَمَا الْحَيَاةِ الدُّرْزِيَا لَعِبْ وَلَهُوُ وَزِيدَةُ وَرَهَامُ وَرَهَامُ بَيْنَكُمْ
وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَذَلَ غَيْثِي أَعْجَبَ الْكُفَّارَ زَبَاتُهُ ثُمُّ
يَهْبِي فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ذُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّرْزِيَا...) (الحديد/ 20).

10- البيان الرائع في تشريع الأحكام:

لا يقتصر التناقض بين الإطار وكوامن المواقف القرآنية على قصص وأيمان وأمثال وحكم القرآن الكريم، بل إنّه اختيار إطاراً خاصاً عند تطبيقه للعقائد والمعارف والأحكام والشريعة وذلك بما يتناقض مع مضمون الآيات الشريفة، واستخدم أساليب مختلفة بهدف المزيد من التأثير... من بين تلك المواقف تشريع الصيام؛ فهذا الحكم الإلهي الداعي إلى تجنب الأكل والشرب وابتعاد الإنسان عن اللذائذ الأخرى

كان يعدّ عملاً شاقاً وغير مألوف بالنسبة للمسلمين الذين كانوا يعيشون في أرض الحجاز الملتهبة حرارة الشمس وأيام الصيف الطويلة، ولذلك عمد إلى استخدام أسلوب مغاير في التشريع حيث راعى الجوانب العاطفية والنفسية أثناء تبيينه للحكم ومن ثمّ تطرّق إلى التسهيلات وحالات التخفيف التي من شأنها أن تخفّض من شدّته وحدّته وبما يجعل النفوس ترکن إلى الحكم وتقتنع بالعمل به. هذا فضلاً عن الفوائد المادية والمعنوية التي ترتّبت على الحكم. إن صيغته شجّعت المسلمين ورغّبتهم بقبول الصيام.

خَبِيرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (البقرة/ 183-184).

إن^٣ النقاط التالية تكشف عن جانب من البيان الرائع الذي استخدمه القرآن الكريم في الآيتين أعلاه من أجل تحفيز المسلمين على الصيام.

إلى ضمير ووجدان المخاطب مشرعة بذلك حكم الصيام الإلهي.

إنَّ الآيتين الانفتقي الذكر ما هما إلا نموذجين من استثمار العلم والحكمة والفن والإبداع في البيان القرآنى الذى يؤلِّف بمجموعه الخلقة الفنية للقرآن المجيد. وإنَّه لمن نافلة القول أن يستلهم كافة المسلمين من الكتاب العزيز أدوات الفن بفروعه المختلفة نحو المزيد من إشاعة الثقافة القرآنية ونشرها بين الأجيال وفي مختلف العصور وخاصة بين الجيل الواuded، ولا يغلقوا الطريق أمام التحدي والتجدد والإبداع. وإنَّ الأمل ليحدو بنا ونحن في كتف المعرض القرآني الذي نرجو له التقدُّم عاماً بعد آخر، بأن ينجح في جذب الشعوب المسلمة ويكون مصدر إلهام لباقي الدول. إنَّه مركز مليء بالجاذبية يمكن التعويل عليه وترقُّب الخير منه حتى تتفتح براعم الحياة والنشاط في ظله. علينا أيضاً أنَّ لا ننسى أن شهر رمضان المبارك الذى هو شهر ضيافة الله تعالى وأنَّ الحضور حول ما ندائنا رحمته الواسعة هو انطلاقة للتحرُّك في مسيرة التكامل الإنساني الإلهي والمعنوي نحو التقرب لله تعالى والوصول إلى (فطرة الله).

إنَّ الخروج بنجاح من امتحان محاربة هوئ النفس وتسويات إبليس وكذلك بلوغ الذروة في التقوى والزهد حيث الغاية النهائية للصيام في عيد الفطر السعيد وفيه العودة المنتصرة للصائمين إلى الفطرة الإنسانية - الإلهية الطاهرة والأصلية.

هذا الفوز العظيم يتکامل بإتمام صلاة العيد التي هي تجسيد لوحدة صف المسلمين وأخواتهم (قدْ أَفْتَحَ مَنْ تَرَكَ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) (الأعلى/ 14-15).

إذن: يؤصل القرآن في خلد الإنسان العودة إلى فطرته وما تقتضيه من النظر في الكون وتناسقه الكاشف بكل وضوح عن خالقه العظيم، فإذا غفل عن ذلك غفل وفسق عن فطرته نفسها. (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ رَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (الحشر/ 19).

كما يؤصل أيضاً فيه حسَّ الفنَّ والإبداع الفني باعتبارهما ميلين فطريين لينطلق الإنسان متکاماً مجدداً - وهي خاصية لا يتمتع بها غيره من الحيوانات - عاماً على إعمار الأرض وتحقيق مقتضيات خلافته \sqcap سائراً تحت ظل الله يقوده الأنبياء مرحلة مرحلة شاهدين عليه في سفينته الحياة. وكأنَّ الآية التي تتحدَّث عن سفينته نوح تتحدَّث عن سفينته التاريخ كلَّه إذ تقول: (وَقَالَ رَبُّهُمْ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبَّهُمْ يَلْغَفُورُ رَحِيمٌ) (هود/ 41).